اللغة بوصفها عنوانًا للهُويَّة والثقافة

د. هياء علي الشمري

- **مَدخل:**

إنَّ أولَ ما يتبادرُ إلى الذهنِ عند الحديث عن الهويَّةِ اللغويَّة هو ارتباطُ الهُويَّةِ بالثقافة، ذلك أنَّ ثقافةَ شعبٍ ما، على المستوى الرسميَ أو العاميّ تُمثّل الهويَّة المميِّزة لهذا الشعب، والسؤال عن هويَّة شعبٍ ما يستدعي بالضرورةِ السؤالَ عن لغتهم التي يتواصلون من خلالها، لأنَّ اللغة "هي عنوان الوجود والهويَّة" التي تُميِّز شعبًا من آخر إلى جانب الأزياءِ الشعبيّة والعادات والتقاليد الخاصّة به، وعليه فإنَّ اللغة تُعدُّ أحدَ أبرزِ العوامل التي تستحضرها الأذهان عند السؤال عن الهويَّة كونها " أفضل مرآة للعقل البشري" كما يصفها تشومسكي، وعلى العكس من ذلك فإنَّ السؤال عن اللغة لا يستدعي إجاباتٍ تتعلّق بمظاهر الثقافة الشعبيّة الأخرى كالزيّ الشعبيّ والعادات والتقاليد، وبغض النظر عن اللهجة العامّيّة، فإنَّ السؤال عمّا هي اللغة؟ سيكون جوابه . بلا شك . هويَّة الشعب المحدَّد، كونها إرثًا اجتماعيًّا.

أمَّا بالنسبة للثقافة فإنَّ مفهومَها كما قدَّمه كتاب دليل الناقد الأدبيّ "عامٌّ وعائم" فقد تعذَّر دائمًا على التعريف المانع الجامع، كما إنَّ تاريخ مفهوم الثقافة يعود إلى ما قبلَ انعطافةِ القرن العشرين، حين كتب ماثيو آرنولد (الثقافة والفوضى 1869م)، وكتب تايلور (الثقافة البدائيَّة 1871م)، بل إنَّ مقال ماثيو آرنولد (مهمَّة النقد في الوقت الحاضر) وأشهر كتب ريموند وليامز (الثقافة والمجتمع 1865م) يصبّان في هذا المنحى، وقد وصلت الدراسات الثقافيّة إلى أكمل وجوه التمثُّل في أشهر كتب ريموند وليامز الثقافة والمجتمع: من عام 1780م-1950م الذي صدر عام 1958م، وهو عام يقع ضمن حقبةٍ شهدت تَحوُّلاتٍ كبيرة في تاريخ الدرس الأدبيّ والثقافيّ عمومًا"، وعليه فإنَّ السؤال عن الثقافةِ ينقسم إلى علاقتها باللغة وبالهويَّة، وهذا ما يحدد الإجابة بالنسبةِ لشعبٍ ما، فإمّا أنْ نسأل عن ثقافته، فيكون الجواب مرتبطًا بهويّة ذلك الشعب أو ما يميّزهم من حيث المأكل والمشرب و الملبس... حيث تدخل كلُّ تلك الأشياء في

قالب واحد وهو قالب الثقافة، فإنْ أردنا أنْ نختصرها لشعبٍ مُحدّد سنقول ما هي هويّته التي يتداولها أبناؤه، أو ما هي لغتهم التي يتواصلون من خلالها، لنستكشف ما هي ثقافته.

وعليه نستطيع القول: إنَّ الثقافة والهويَّة وجهان لعملة واحدة، أو هما متقاربان بصورةٍ أكبر، بينما تبقى اللغة منفردة عنهما، وربما يعود ذلك لخصائصها المختلفة، إذْ إنّ محاولتنا معرفة ثقافة شعبٍ ما عن طريقِ السؤال عن اللغة التي يتواصلون من خلالها قد يصطدم بتعدّد اللهجات المستخدمة، واختلافها بعضها عن بعض اختلافًا كبيرًا، فعلى الرغم من أنّهم يتشاركون الهويَّة الثقافيَّة نفسها، إلا أنَّ اللهجاتِ أحيانًا تكاد تبدو لغاتٍ أخرى لاختلافها بين متداوليها، ومثال ذلك اللهجات القائمة في الهند التي تزيد على 50 لهجةً تختلف تمامًا إحداها عن الأخرى، بل يكاد الشخص المتحدّث بلهجة منها لا يفهم المتحدّث بلهجة أخرى، ومع ذلك فإنَّ بروز لغةٍ واحدةٍ لشعبٍ مُعيّن يُبرز هُويَّتَهم الثقافيَّة، فإذا قلنا ما الهُويَّة؟ أو ما الثقافة؟ نستطيع أن نُجيبَ بإجابةٍ واحدة هي اللغة، فإذا أردنا أن نَعْرِفَ ما هُويّة ذلك الشعب؟ أو ما ثقافته؟ فإنَّ الجواب سيكون اللغةَ التي يتداولها أبناؤه هي ثقافته وهُويَّته التي تُميّزه من باقي الشعوب -على الرغم من وجود لهجات مختلفة- فاللغة تُعدُّ هُويَّةَ أو ثقافةَ شعبٍ ما، وبذلك فإنَّنا بواسطة الكلام نتعامل مع أيّ شيء ونتفاوض.

ومن هنا، فإنَّ هذا التقاطع بين المفاهيم هو ما يُولّدُ اللَّبْسَ القائم بين المصطلحات الثلاثة، وهذا ما نراه على صفحات الكتب وفي واقع الحياة، حول آليَّة فهمها ومحاولة تقديم أقرب صورة مؤطّرة لكلِّ مفهومٍ منها بصورةٍ مُميَّزةٍ، وهي التي تُسهمُ مجتمعةً في نهاية الأمر بالتعبير عن مجتمعٍ ما.

المبحث الأول . تقاطُع المفاهيم:

بما أنَّ "اللغة لا تزول إلّا بزوال الأمم" فإنَّ مفهوم اللغة هو الذي يُحدّد هُويّة الشخص فنقول: الهُويَّة

مسألةٌ لُغويَّةٌ في جُذورِها، ولكنَّها ليست خاصّة بالنسبة للّغويّين، فَنُحدّد هُويَّات الشعوب، بقولنا: الشعب العربيّ، أو على سبيل المثال الشعب الألمانيّ، وهنا نحن ننسب الشعبَ إلى لغتِهِ، فالشعب الإنجليزيُّ يتحدَّث اللغةَ الإنجليزيَّة، والشعبُ الألمانيّ يتحدَّث اللغةَ الألمانيَّةَ والشعبُ العربيُّ يتحدّث اللغة العربيَّةَ... وبمعنى آخر فإنّنا ننسب الشعب إلى لغته التي يتواصل من خلالها، وإذا ما تَحدَّثْنا عن اللغة العربيَّةِ التي تُعدُّ من أكثرِ اللغات ارتباطًا بالهُويَّةِ، فنقول اللغة هي هُويَّتُنا التي تُميِّزنا من غيرنا.

من ثَمَّ، فإنَّ السؤال المتبادر إلى الأذهان الآن بعد اللغة هو: ما الهويَّة؟ وبالعودة إلى مصطلح الهويَّة في المعاجم فإنَّ الهُويَّة تعني "الكلمة العاديَّة التي تَرمُز إلى معنى ماهيّة الناس" فهي مجموعة مِنَ المُميِّزات التي يختصُّ بها فردٌ أو مجموعة دون غيرها في دولةٍ محدَّدة أو بلدٍ مُعيَّن.

وبناءً على ذلك، يمكن تحديد الهويَّة في ضوء الثقافة المنتشرة في بلدٍ ما، فنقول الهويَّة الثقافيَّة لهذا البلد، حيثُ "هناك سؤال دائم تقليديّ في الفلسفة: ما الواقعة في الشخص التي تجعل ذلك الشخص الشخص نفسه أثناء التغيُّرات المختلفة التي يمرُّ بها في مسيرة حياته؟"، فتكون الشخوص والأحداث التي مرَّ بها طوال فترة حياته قد صقلت شخصيَّته وكوَّنت هُويَّتَه في المجموعة التي يعيش معها، أو حتى على مستوى الدائرة الشخصيَّة من عائلة و مواقف وملبس ومأكل وعادات وغيرها، والأمر سيّان، في تكوين ثقافة خاصّة نستطيع نحن من خلالها أنْ نُحدّد هويَّته، أو مع عدد من الأفراد بثقافتهم التي كوّنوها، تلتقي بعض النقاط فيما بينهم لتكوين ثقافة المجتمع التي نستطيع أن نقول هي هويَّته التي نُميّزها.

ولما كانت الهويَّة الثقافيَّة هي "انصهار الذواتِ الفرديَّةِ أو الأنا الذاتيَّة لكلِّ فردٍ في بوتقة واحدةٍ هي الجماعة أو الـ (نحن) التي تُشكّل الضميرَ الجمعيَّ والوعي الاجتماعيَّ الذي بموجبه أفكر وأشعر وأعمل وأسلك كما تُشكِّل العقلَ الجمعيَّ الذي بموجبه أَحْكُم، والخيالَ والأساطيرَ الشعبيَّة التي بموجبها أرغبُ

وأَحْلُم. وجوهر الهويَّة الثقافيَّة هو الاعتراف بالقيم الأساسيَّة التي تُشكِّلها الأمّة في عمليَّةِ تَطوُّر التاريخ. وتُشير الهويّة الثقافيّة إلى مشاركةِ الناس في النماذج الثقافيّة الموحَّدة (الإيمان، والقيم، والأعراف والعادات... إلخ)، بالإضافة إلى ذلك لديهم شعورٌ نفسيٌّ ووعيٌ مشترك في الثقافة"، فإنَّ الثقافة المشتركة لمجموعة من البشر ترجعُ إلى عدّة مفاهيم كالإيمان، القيم، الأعراف... وغيرها من الأنواع الثقافيَّة حسب المفهوم الذي نشأ علية الفرد، تقوم مجتمعةً بتكوين الطرائق والمعايير التي تَحكُم رؤية الإنسان للواقع الذي يعيشه، فتُنظّمها حسب ثقافته التي نشأ عليها إلى جانب الثقافة التي اكتسبها من مجتمعه، ليجدَ الإنسان نفسه بين نوعين من الثقافة التي نشأ عليها وتلك التي اكتسبها، وفي المجمل فإنَّ ما يَحكُم رؤيتَه للعالم أو الواقع هو اتّحاد هاتين الثقافتين معًا، لينشأ بعدها مجتمع ما، بثقافةٍ مُوحَّدة هي التي تُشكِّل هويَّته التي يُقدّمها إلى العالم فيما بعد.

أيْ أنَّ الهُويَّة وفق ذاك التقسيم تكون أوسع من الثقافة، فالمفهومان . وإنْ تداخلا . فإنّهما قد يتقاطعان أحيانًا على الرغم من وجود تطابق في المعنى بينهما، على مستوى تحديد ماهيّة الفرد بعيدًا عن اللغة.

إنَّ "الأسئلة حول الهويّة قديمة كقدم الفلسفة" ومن الممكن أنْ نقول بأنَّها آنيّة للفرد، تحدد ماهيَّته الحاليَّة، بينما الثقافة قد تجمع بين ماضيه وحاضره حتى تتشكَّل ملامحها بصورةٍ واضحة، فالتخطيط للمستقبل يكون من خلال الهويَّة لتشكيل مُسوَّدةٍ للحياة التي سيعيشها الفرد، فيختار فلسفته، طريقة كلامه، ينتقي مفرداته، طريقة أكله، ماذا يأكل، طريقة الملبس، نوع الملبس، اختيار النبرات الصوتية، الإيماءات التي تُلخّص الحديث... إلخ هذا كلُّه من البيئة المحيطة به، بينما تتضح ملامح المُخطّط من خلال التعرُّف على الثقافة التي تشمل مختلف الأنماط والحالات التي يتعرَّض لها الفرد في حياته اليوميَّة إلى جانب ماضيه " فالثقافة هي القاعدة المحدِّدة لتخلُّف المجتمعات أو تقدُّمها، والأساس الحاسم في اكتساب الجماعات البشريَّة القدرة على الفعل الاجتماعيّ المثمر أو عدم قدرتها على ذلك وهي

الفعل الجماعيّ"، فوضع مُسوَّدة للحياة التي يعيشها الفرد تحدث لا إراديًّا طبقًا للمجتمع الذي يعيش فيه، لذلك فإنّ التخطيط للمستقبل لفردٍ عربيٍّ يختلف . على سبيل المثال . عنه لفرد ألمانيّ، طبقًا للأنماط الحياتيَّة أو الثقافيَّة التي تُحيط به، ولكن هل هذا يعني أنّه لو عاش شخص ألمانيّ في مجتمع عربيٍّ فإنَّ تخطيطه للمستقبل سيختلف عمّا إذا عاش في ألمانيا؟ والجواب: لا شكَّ بأنَّ الثقافة المحيطة بالفرد الألمانيّ في مجتمع عربيّ قد تؤثِّر على ذلك، ولا سيّما إذا حاول أنْ يطبع تخطيطه بطابَعِ الهويّة الألمانيّة التي نسأل عليها، فنجد نوعًا جديدًا من الثقافة قد نشأ من امتزاج ثقافةٍ عربيّة بثقافة ألمانيّة مع الاحتفاظ بالهُويّةِ الخاصّة.

وهنا نلحظ التداخلَ بين هذين المفهومين بصورةٍ جليّةٍ، في تَصوُّر اختيار فرد للعيش في بيئة ثقافيّة تختلف عن بيئته الأصليّة، وأقول عيش وليس نشأة، ذلك لأنَّ اختيار النشأة منذ الصغر قد يجعل دور الهويّة أضعف من دور الثقافة، بمعنى آخر لو نشأ طفل عربيّ في مجتمع ألمانيّ وهو لم يتعرَّف على الهويّة أو الثقافة العربيَّة، فإنَّ دور الهويّة أو مكانتها سيكون من خلال اللغة فقط بينما تتكوَّن ثقافته من البيئة المحيطة به، ومن ناحية أخرى لو افترضنا أنَّ شخصًا عربيًّا مُبتعثًا للدراسة في ألمانيا واختار أنْ يقضي كلَّ سنواتِ دراسته في ألمانيا دون إجازات للعودة إلى بلده العربيّ، فإنّ الهويّة العربيّة لا بدَّ أنْ تَبرز في تعاملاته اليوميّة على الرغم من أنّه قد يُكوّن . لا إراديًّا . ثقافةً أخرى مُغايرة لثقافتِهِ التي نشأ عليها.

المبحث الثاني . محاولة الوصول إلى مفهوم الهُويَّة اللغويَّة:

عند الحديث عن علاقة الهويَّة باللغة، فإنَّ مفهوم اللغة يتخطّى المعنى اللغويّ المباشر إلى الإشارة لكونها رمزًا لمجتمعٍ ما يتواصل من خلالها أفراده ويفهمون بعضهم بعضًا، وذلك عن طريق تشكيل مجموعة من الرموز تشير إلى معانٍ محدّدةٍ مُتفَقٍ عليها من قبل مُستخدميها "اللغة المعيّنة عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانيّات المتاحة للتعبير. ومن ثَمَّ فإنَّ الأسلوب يمكن تعريفه بأنّه اختيارٌ choice أو

انتقاءٌ selectio، يقوم به المُنشئ لسماتٍ لغويّة معيّنة، بغرض التعبير عن موقف معيّن، ويترتَّب على هذا الاختيار أو الانتقاء إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات بديلة: ، إذْ " يكون هذا الاختيار حيث يُؤْثِر المنشئ كلمةً على كلمةٍ أو تركيبًا على تركيبٍ لأنَّها أصحّ أو أرقّ في توصيل ما يريد" فالفرد مُنشئ اللغة يختار مفرداتِ لغتِه بناءً على الهُويَّة الثقافيَّة التي نشأ عليها.

وبذلك، فإنَّ الإشارة إلى هويَّة مجتمعٍ ما، كالمجتمع العربيّ على سبيل المثال، تعني الإشارة إلى الهويَّة العربيَّة، أمَّا اللغة فهي أيضًا اللغة العربيَّة "ذات الامتداد التاريخي الطويل جدًّا، والمساحة الجغرافيَّة الشاسعة، والتنوُّع الديموغرافيّ الواسع والمُتشعّب"، ولكنْ في الوقت ذاته فإنَّ تلك اللغة قد تنطوي على لَهَجاتٍ مختلفة تجعلُ عمليةَ تفكيكنا لعلاقة الهُويَّة باللغة مهمَّةً أشدَّ تعقيدًا.

فاللغة العربيَّة المُمتدَّة على مساحةِ الوطن العربيّ من مشرقه إلى مغربه تُقدِّم العديد من اللهجات التي من الممكن أن تدخل فيها مفرداتٌ غيرُ عربيَّةٍ، إلَّا أنَّ هُويَّة اللغة ذاتِها هي واحدة، وهي اللغة العربيَّة، على الرغم من تعدُّد اللهجاتِ المنطوية تحتَ لوائها، فالطابَع البيئيُّ الذي نشأ فيه الفرد العربيُّ هو الذي يُحدِّد ماهيَّة نشأته، فنقول: إنّه يعادل الهويَّة لذلك فهي هويَّة عربيَّة، إذْ إنَّ اللغة هي الوعاء الذي يُقدِّم من خلاله الفردُ هويَّتَه، حيثُ يقول الشاعر العربي: "لسان الفتى نصف ونصف فؤاده" ويقول المثل العربي: "المرء بأصغريه: لسانه ووجدانه" أي أنَّ اللسان يعادل اللغة، وبما أنّ الفرد "مُكوَّنٌ ، بكيفيّةٍ مُطلقةٍ، من مجموع ما يُفكّر فيه ، ويريده ويفعله" نقول: إنَّه على الرغم من اختلاف اللهجات المحيطةِ بالفرد في البيئة العربيَّة التي يعيش فيها، إلّا أنَّ اللغة أسهمَتْ إسهامًا مباشرًا أو غيرَ مباشرٍ في تكوين هُويَّة خاصَّة تحمل الطابع العربيَّ، بل أكثر شمولًا منه، لأنَّ اللغة هي البذرة التي تشكّلت منها تلك الهويَّة.

من هنا يمكن أنْ نقول: إنَّ اللغة في علاقتها مع الهُويَّة تكون أوسعَ من الهُويَّة في وصفِها لها.

وبناءً عليه، فإنَّ حضارات الأُمم التي تحمل اسمًا مُحدَّدًا إنَّما قامت على عنصر مُهمٍّ هو اللغة التي لها أوليَّة على المتحدّثين بها بوصفها الوعاء الذي يعكس الثقافة والهويَّة، فنلاحظ أنَّ الحضاراتِ التي سادت في فترةٍ من الفترات إنَّما قويت واشتدَّت من خلال الاطلاع على الثقافات الأخرى واللغات المختلفة بهدف تشكيل هويَّة خاصَّةٍ بها تُميِّزها عن غيرها من الحضارات مع الاحتفاظ بهويَّتها الأساسيَّة، أو نستطيع القول مع الاحتفاظ بهويَّتها اللغويَّة / الثقافيَّة، حيثُ تنهضُ الحضارة وتسودُ بنهوضِ لغتها التي بدورها تتوسَّع وتتطوَّر بالاطلاع على غيرها، كما تنحدر الثقافات وتَبيدُ مع ضعف لغتها، ومع المحاولات المختلفة (لِطمس) هويَّتها اللغويَّة الذى ينتج عنه ضعفٌ عامٌّ في الحضارة، و. ربّما نستطيع القول . إنَّ الحضارة العربيَّة إنَّما ضَعُفت مع ضعف اللغة العربيّة، وقلّة استخدامها أو الاحتفاء بها من قِبَل أبنائها على الرغم من سيادتها لفتره طويلة من الزمن، واعتمادها لغةً أساسيَّةً في التعامُلات الدوليَّة والمراسلات، بل كانت الدول تحرص على إرسال بعثاتٍ طلابيَّة لتعلُّم العربيَّة في الدول العربيَّة كي تستطيع بلادُهم مواكبة التطوُّرات من خلال الاطلاع على العلوم المُختلفة التي تُقدَّمُ باللغة العربيَّة.

إنَّ ازدهار الحضارة العربيَّة ووصفها في إحدى حِقَبها بالعصر الذهبيّ ، إنّما كان بالاطّلاع على الحضارات المختلفة وثقافاتها المتنوّعة، حيث نجد أنَّ الخلفاء الذين تولّوا الحكم كانوا يتسابقون ويتنافسون في ترجمةِ الكتب واستقبال طلاب العلم واستقطاب العلماء للمساهمة في بناء صرح علميٍّ حضاريّ، الأمر الذي جعل الدول العربيّة أكثر انفتاحًا وتَمدُّنًا من غيرها من الدول، وذلك لأنَّ الثقافة العربيَّة قد تشكّلت في صورتها الذهبيَّة الراقية مع اطلاعها على مختلف الحضارات وثقافاتها في ذلك الوقت، ممّا أسهمَ في تشكيل حضارة عربيَّة إسلاميَّة بهُويَّة ثقافيَّة لُغويَّة مُحدَّدة، لذلك نقول" يمكن الحصول على بعض التقدُّم بالبدء من الناحية اللغويَّة"

وممّا سبق يتبيّن لنا أنَّ مفهوم اللغة أوسع نطاقًا وتأثيرًا من كلٍّ من مفهومي الهويَّة والثقافة - وإنْ

تقاطعتْ معهما أحيانًا – وقد تشعّب مفهوم الهويّة إلى عدّة مفاهيم بحسب المجال الذي تحكي عنه، فالهويَّة في المنطق الأرسطيّ هي الذاتيَّة أو ما يحكم الفكر الإنسانيّ في محاولةٍ منه لتجنُّب الأخطاء التي من الممكن أنْ تُغيِّر من ذاته، أمّا في علم النفس فإنَّ الهويَّة هي الأنا الذاتيَّة التي تُمثّل الإنسانَ نفسَه وأهواءه وما يعطيه له المجتمع لتكوين شخصيَّته، وأمّا في السياسة فإنَّ الهويَّة تَتبدَّل وتَتغيَّر بِتغيُّر الثقافات واللغات التي تحكم الهويَّة المُراد التعامُل معها وتُحدّدها، لذلك فإنَّ مقولة "اللغة هي إرثٌ اجتماعيٌّ، ومَنْ يملك اللغة، يملك الهويَّة العقليَّة والروحيَّة" هي مقولةُ تفسير الهويَّة من حيث كونُها أعمَّ من اللغة. أمّا الثقافة فاتّسمت بأنّ مفهومها عائمٌ، وإنّما تَتحدَّد بتحديد المجتمع المُختار وهويَّته، فنقول: إنّه من الممكن أنْ تتشابه المجتمعاتُ في بعض الثقافات وإنْ اختلفت هويّاتها ولغاتها، وهذا ما فطن إليه الرحّالة العرب ودوّنوه في كتبهم، ويمكن لنا أنْ نستشفَّ معنى الهويّة أو الثقافة إذا وصفناهما -كما ذكرنا سابقًا- بأنّهما وجهان لعملة واحدة، فإنّ المجتمعات قد تتشابه، وقد فطن لذلك الشدياق، في دفاعة عن الهويَّة الثقافيَّة العربيَّة عند حديثه عن سوق عكاظ الذي كان يجتمع فيه العرب قديمًا من شعراءَ، ونقّادٍ، ورواةٍ، ومفكّرين يتحدثون ويتبادلون الآراء، ممّا خلق بيئةً ثقافيَّة خصبة أسهمت فيما بعد في تكوُّن الفكر النقدي في ذلك الوقت، فالأمر لم يكن مقصورًا على المجلس الأفلاطونيّ أو الفكر السقراطيّ الذي تُنسب إليه الثقافة المسرحيَّة، ومن المنطلقِ ذاته طالبَ رفاعة الطهطاوي "بتثقيف المواطن" من خلال اطلاعه على الثقافات الأخرى، وممارسة الحوار والجدال مستعينًا باللغة للتواصل، لتوسيع ثقافته وتكوين هويَّة خاصَّة به.

إذن، فإن الهيكل الثقافيّ ربما يكون موجودًا في أكثر من بلد مع اختلاف اللغة، إنما الهويَّة او الثقافة كانت واحدة، فقالب الحوار المسرحيّ الذي يَستخدم اللغة كان موجودًا في البيئة العربيَّة قبل البيئة اليونانيَّة، مستعينة باللغة لتعكس البيئة الثقافيَّة المحيطة.

الخاتمة

لا شكَّ في أنَّ المفاهيم الثلاثة (اللغة والهويّة والثقافة) تتقاطع وتتشابك فيما بينها بعلاقات وثيقة، وتأثير متبادل، غير أنّ الجدل لا يزالُ قائمًا حول طريقة تبادل التأثير والتأثُّر فيما بينها، فهل كان تأثير الهويّة هو الأعمّ، أم إنّ للثقافةِ دورٌ في تكوين اللغة، أم إنّ اللغةَ هي العامل الرئيس المكوّن للهويَّة؟ ولعلّ السبب في إثارة هذا الجدل يعود إلى تناول كلِّ علمٍ من العلوم لتلك المفاهيم من وجهة نظرٍ مختلفةٍ تنسجم مع تخصّصه. ويمكن القول: إنَّ اللغة هي صاحبة الدور الأكثر تأثيرًا، يعزّز دورها اطلاع المتحدثين بها على الثقافات الأخرى، فيشكّلون هويّتهم المميّزة، وثقافتهم الخاصّة تحت لواء اللغة الواحدة، وما ينفرد به مجتمع ما من عادات وتقاليد وأزياء شعبية مطبوعة بالطابع الخاص الذي يميّز هذا المجتمع أو الشعب.

وعليه، فإنّ استمرار الجدل حول المفاهيم الثلاثة لا يمنع القول بأنَّ الناظر إلى لغةِ شعبٍ ما يستطيع من خلالها تحديد الهويّة الثقافيّة لهذا الشعب، أو لمجموعة من الناس، ومع أنّ الثقافة الخاصّة بشعب ما قد يعتريها بعض التغيير بمرور الزمن والعوامل المختلفة إلا أنّها تحتفظ مع ذلك بكونها العنوان الرئيس المميِّز لهذا الشعب بصفتها هويّة ثقافيّة محدّدة، وقد ينطبق الأمر كذلك على الهويّة فيطرأ عليها بعض التغيير بفعل مرور الزمن أو العوامل السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة، ولكنّ المفهومين (الثقافة والهويّة) قد يتحدّان أو يتّفقان معًا عند ارتباطهما باللغة على الرغم من جميع المؤثرات الخارجيّة التي قد تتعرضان لها، وأبرز مثال على ذلك اللغة العربيَّة التي قال عنها تشومسكي: "اللغة العربيَّة أكثر اللغات ارتباطاً بالهويَّة"، فهي الوعاء الحافظ للهويّة والثقافة.

قائمة المراجع:

- إيكو، إمبرتو (2005) السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، بيروت: المنظمة العربية

للترجمة.

- توفيق، سعيد (2002) في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1.
- الشدياق، أحمد فارس (2014) الواسطة في معرفة أحوال مالطه وكشف المخبأ من فنون أوروبا، مصر: مؤسسة هنداوي.
- النقد (أسس النقد الأدبي الحديث) (2006) ترجمة هيفاء هاشم ومراجعة نجاح العطار، سوريا: منشورات وزار الثقافة، ط2.
- جوزيف، جون (2006) اللغة والهوية القومية -اثنية- دينية، ترجمة عبد النور خرافي، الكويت: مجلة عالم المعرفة، ع أغسطس.
- مندور، محمد (2009) معارك أدبية، مصر: دار نهضة مصر، ط2 .
- أوكان، عمر (2011) اللغة والخطاب، مصر: دار رؤية.
- عوض، لويس (1965) نصوص النقد الأدبي (اليونان)، مصر: دار المعارف، ج1 .
- سيرل، ر. جون (2007) العقل، الكويت، مجلة عالم المعرفة، ع 343 .
- مصلوح، سعد (1992) الأسلوب، مصر، عالم الكتب، ط3 .
- السّد، نور الدين. الأسلوب وتحليل الخطاب، الجزائر: دار هومة، ج1، ط1.
- نازل، سبايارد (1992) الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، دار نوفل، ط2 مصححة ومنقحة.
- حمودة، عبد العزيز (2001) المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، الكويت: عالم المعرفة، ع